الأبعاد التجديدية في الدرس الكلامي المعاصر من خلال كتاب ".الإيمان في عالم متغير" للشيخ عبد الله بن بيه
قراءة تحليلية مقارنة

إعداد/
د/ محمد عال اسلم الطالب أعبيدي
أستاذ مشارك بجامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى تقديم قراءة تحليلية مقارنة ؛ لكتاب "الإيمان في عالم متغير "للشيخ عبد الله بن بيه" الذي يعتبر من أبر العلماء المعاصرين الذين جسروا الهوة بين التراث والحداثة وقد حاول الباحث أن يبرز للقارئ الأبعاد التجديدية في الدرس الكلامي المعاصر من حيث المنهج والمفاهيم من خلال كتاب "الإيمان في عالم متغير" مع بيان موقع العلم الحديث في النسق الاستدلالي الإيماني الجديد؟، وكيف يتجلى البعد المقاصدي والأخلاقي في تجديد علم الكلام عند الشيخ ابن بيه؟.

وعقد الباحث مقرانة بين التراث الكلامي الأشعري وبين الدرس المعاصر ممثلا في كتاب "الإيمان في عالم متغير"

أما في مايتعلق بالتقسيم المنهجي فقد التزم الباحث بعناوين الكتاب –موضوع الدراسة –غير أنه جعل من تلك العنوانين محاور لهذه الدراسة وذلك على النحو التالي:

المحور الأول: الحاجة إلى الإيمان في عالم متغير.

المحور الثاني: معنى الإيمان

المحور الثالث: وقفات توضيحية

المحور الرابع: تذكير ببعض ثمار الإيمان

المحور الخامس : جملة من التوصيات.

وقد خلص الباحث إلى أن كتاب الإيمان في عالم متغير هو نموذج مهم في تجديد الدرس الكلامي المعاصر حيث استطاع المؤلف من خلاله أن يحرر مفهوم الإيمان من ضيق التعريفات الكلامية القديمة فأضحى الإيمان علمٌ يثمر عملاً، والعمل يُغذي العلم حتى يرتقي به إلى مقام الإحسان.

معتبرا أن ثنائية التغير والإيمان شكلت الأساس الجوهري للكتاب وهي ثنائية فلسفية .كلامية بامتياز، إذ تجمع بين معطى كوني متغير (العالم) ومعطى ميتافيزيقي ثابت (الإيمان).

وقد استطاع المؤلف أن يقيم جدلاً معرفياً بين التغير والثبوت، أساسه: كيف يحافظ الإيمان على وظيفته وغايته في عصر السرعة والتقلب والشك؟.

الكلمات المفتاحية: الإيمان –التغير –علم الكلام –التجديد–الإنسان.

The Renewal Dimensions of Contemporary Kalām Discourse through :"Shaykh Abdullah bin Bayyah's Book "Faith in a Changing World

A Comparative Analytical Study

Abstract

This study seeks to present a comparative analytical reading of the book "Faith in a Changing World" by Shaykh Abdullah bin Bayyah, who is regarded as one of the foremost contemporary scholars bridging the gap between heritage and modernity. The researcher aims to highlight for the reader the renewal-oriented dimensions of the contemporary theological (kalām) discourse—both in method and in conceptual framework—through this book, clarifying the place of modern science within the new epistemological structure of faith, and showing how the purposive (maqāṣidī) and ethical dimensions manifest in Shaykh bin Bayyah's .project of renewing Islamic theology

The researcher also established a comparison between classical Ashʿarī theological heritage and the contemporary theological approach ".represented in "Faith in a Changing World

Regarding methodological structure, the researcher adhered to the chapter titles of the book under study, transforming them into thematic axes for :this research, as follows

- First Axis: The need for faith in a changing world
- Second Axis: The meaning of faith
- Third Axis: Clarificatory reflections
- Fourth Axis: A reminder of some fruits of faith
- Fifth Axis: A set of recommendations

The study concludes that Faith in a Changing World represents an important model in the renewal of contemporary kalām studies, as its author succeeded in liberating the concept of faith from the narrow confines of classical theological definitions. In this new framework, faith becomes knowledge that yields action, while action nourishes knowledge, .elevating it to the station of spiritual excellence (iḥsān)

The study considers that the duality of "change and faith" forms the essential foundation of the book—an eminently philosophical-theological duality that brings together a mutable cosmic reality (the world) and a fixed metaphysical reality (faith). The author succeeds in establishing an epistemological dialogue between change and permanence, grounded in the question: How can faith preserve its function and purpose in an age of speed, fluctuation, and doubt?

Keywords: Faith – Change – Islamic Theology (Kalām) – Renewal – Human Being

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد؛

شهد الفكر الإسلامي المعاصر تحولات عميقة فرضتها التغيرات السريعة في بنية العالم وقيمه ومنظوماته المعرفية، وقد أعادت هذه التحولات طرح سؤال الإيمان على نحو جديد، من حيث ضرورته، ووظيفته، وموقعه في عالم سريع التغير والتقلب.

وفي هذا السياق جاء كتاب "الإيمان في عالم متغير "لمعالي العلامة الشيخ عبد الله بن بيه ليشكل نموجا عمليا في تجديد الدرس الكلامي، من خلال قراءة جديدة تجمع بين الوفاء للموروث الإسلامي واستيعاب العلوم الإنسانية وتحديات اللحظة الراهنة.

ولعل مايميز كتاب «الإيمان في عالم متغيّر» أن مؤلفه لم يكتف باستحضار المادة الكلامية التقليدية فحسب، بل أعاد بناءها وفق رؤية تستجيب لتحولات المعرفة، والفضاء الرقمي، وحاجات الإنسان في زمن الشك واللايقين.

ولاغرو فمؤلف الكتاب الشيخ عبد الله بن بيه هو أحد أبرز علماء الأمة المعاصرين الذين جسّروا الهوة بين التراث والحداثة وأعادوا لعمامة العلماء وجبة الفقهاء ألقهما وحضورهما في صدر مجالس التأثير في الشأن العالمي.

والمتبع لمحاضرات الشيخ والمطالع لكتبه سيجد أمامه لوحة من الشريعة والحكمة و التصوف والمنطق، والكلام والفلسفة، في نسقٍ يجمع جمال البيان وعمق البرهان.

وهو من القلائل الذين لا يقفون عند حدود الفتوى والفقه، بل يعبرونها إلى مقامات النظر العميق في النصوص والمقاصد والواقع الذي هو مجال التزيل فالعلم عنده ليس نصوصا تُحفظ أو كلمات تكتب، بل نورٌ يُبصِر به العقل طريقه في ظلمات الشك، ويهتدي به القلب في متاهات الاضطراب .

ومن هنا أردت أن أقوم بقراءة تحليلية مقارنة لكتاب "الإيمان في عالم متغيّر" تبرز للقارئ إلى أي مدى يمكن اعتبار هذا الكتاب نموذجاً لتجديد الدرس الكلامي من حيث المنهج والمفاهيم ؟

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس أسئلة أخرى من بينها:

ماهي مظاهر إعادة بناء العلاقة بين التغيّر وثبات الإيمان في الكتاب؟ وما موقع العلم الحديث في النسق الاستدلالي الإيماني الجديد؟، وكيف يتبدى البعد المقاصدي والأخلاقي في تجديد علم الكلام عند الشيخ؟، وهل يقدم كتاب "الإيمان في عالم متغير" نموذجاً لكلام جديد أم تجديداً للقديم؟

وسأعتمد في هذه الورقة على المنهج التحليلي المقارن من خلال تحليل الفقرات الرئيسة في الكتاب واستنباط الأبعاد التجديدية، ومقارنة آراء الشيخ بالمقاربات الكلامية التقليدية ومقارنتها بالمقاربات المعاصرة لعلم الكلام الجديد.

أما في مايتعلق بتقسيم هذه الدراسة منهجيا فسأكتفي بالعناوين الفرعية للكتاب،معتبرا إيها عناوين محاور لهذه الورقة.

المحور الأول: الحاجة إلى الإيمان في عالم متغير.

تحت هذا العنوان نبه المؤلف إلى ربط علماء الكلام بين التغير والحدوث "حين جعلوا ملاحظة التغير الملازم للعالم مقدمة صغرى لقياس "حملي" لإثبات حدوث العالم، فقالوا: العالم متغير وكل متغير حادث، إذا العالم حادث" ،وهو القياس المنطقي الاقتراني ويسمى الحملي نظرا للقضيا التي يتكون منها كما يقول صاحب السلم[1]:

إنَّ القِيَاسَ مِن قَضَايَا صُوِّرَا مُستَلزِمًا بِالذَّاتِ قَولاً آخَرَا
ثُمَّ القِيَاسُ عِندَهُم قِسمَانِ فَمِنهُ مَا يُدعَى بِالِاقتِرَانِي
وَهوَ الَّذِي دَلَّ عَلَى النَّتِيجَةِ بِقُوَّةٍ, وَاختَصَّ بِالحَملِيَّةِ

أما اليوم يقول الشيخ– :فنحن نَفِر من التغيّر إلى ثبات الإيمان بطريق أخرى هي طريق سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي استدل بالموجودات على الموجد، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ

[1] ينظر :الدمنهوري، إيضاح المبهم من معاني السلم،شرح على متن السلم المنورق للأخضري،ط3 سنة 2013م،ص97

وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾، وفي نهاية مسار الاستدلال نجا إلى هداية الله (قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ)، ثم انتهى إلى (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)."[2]

وهكذا ينتقل بنا الشيخ من العقل البرهاني إلى العقل الإشراقي، ومن الاستدلال على الله من خلال العالم إلى الاستدلال به على العالم. وكأنه يريد أن يقول إنّ الإيمان في عصرنا لا يُبنى على البرهان فقط، بل على الوجدان الذي يبحث عن الثابت في عالم المتغيّرات ويرى في الكون مرآةً للمعنى لا موضوعاً للتجريب فحسب.

وقد" وظف في هذا العنوان مبحثا من مباحث المنطق، وهو القياس، فاستخدم مفهوم المقدمة الصغرى، وهي القضية الأولى التي يتركب منها القياس، ثم استخدم القياس الحملي، الذي يتكون من مقدمات حملية، والمقدمة تعني كل كلام مركب مفيد يحتمل الصدق والكذب، وتنقسم إلى قضية حملية، وقضية شرطية، والحملية هي المقصودة هنا في القياس الحملي، والقضية الحملية هي التي ينحل طرفاها إلى مفردين، أو ما في معناهما. والمقدمة تعني القضية في القياس، والقياس هو القول المؤلف من أكثر من قضية، ثم بعد ذلك سلم الشيخ للزوم التغير بسبب السرعة والتسارع، مبينا شموله للأفكار"[3]

ثم انتقل الشيخ إلى التغير الذي أصبح كما يقول الشيخ: "سمة الزمان وشيمة العصر والأوان، ومبدأ الحياة، لقد جعلت التكنولوجيا من السرعة واختزال اللحظة والمكان، والتجدّد المستمر معايير للقيمة والجودة. كل شيء في تغير متلاحق من الذّرة إلى المجّرة، كل شيء مُعَجّل وبلا مَهَل، وكأن الوجود يُعْرض بتقنية العرض السريع"[4]

[2] عبد الله بن بيه الإيمان في عالم متغير،ط منتدى أبوظبي للسلم،2024،ص3

[3] محمد المختار محمد فاضل، قراءة في كلمة معالي الشيخ عبد الله بن بيه، معرض نواكشوط الدولي للكتاب، 2025،ص2

[4] عبد الله بن بيه الإيمان في عالم متغير ،ص4

بمعنى أن المشهد يحلّ محلّ المعنى، واللحظة تحجب الأبدية، والمعلومة تزاحم الحقيقة وهنا يلمس النص الجذر الفلسفي للأزمة الحديثة: انقطاع الإنسان عن المعنى ليصبح –كما يصوّره الكتاب– كائناً في غَمْرَةٍ، أي في حالة غيابٍ عن وعيه العميق بنفسه وبسر وجوده ومآله.

ولكن من قلب هذا التيه، يطلّ الإيمان كمصباح في بحر لجي.

الإيمان هنا ليس مصطلحا كلاميا أو عقديا فحسب، بل هو رؤية كونية تمنح العالم اتساقه والمعنى اتصاله فحين يقول المؤمن: إنا لله وإنا إليه راجعون، يلخّص فلسفة الثبات في قلب التغيّر، إذ يجعل للحركة غاية، وللتحوّل وجهة، وللزمان معنى.

الإيمان –بحسب الكتاب– ليس رفضاً للعصر، بل تحريرٌ للإنسان من أسر العرض السريع. إنه لا ينكر التغيّر، بل يعيد توجيهه نحو الله، والإيمان عند الشيخ لا يجافي الواقع، بل يمنحه مركزاً يدور حوله، وثقلاً يمنع انجرافه. ومن ثمّ فهو الجاذبية الحقيقية في مقابل جاذبية الوهم.

وختم الشيخ هذا العنوان بقوله:

"إن الإيمان يُخرج الإنسان من غمرته التي انعكست على سلوكه سلباً وتصرفاته فساداً بظلم نفسه وأبناء جنسه وبيئته الكونية بتلويث الفضاء وصنع المخترعات غير الآمنة التي استعملها في التدمير بدل التعمير والقتل بدل المحافظة على الحياة، وكل ذلك يرجع إلى ضمور الإيمان وغياب الأفق الأخلاقي، مما حاولت البشرية تداركه من خلال أنظمة الأمم المتحدة المختلفة ومنها الإعلان العالمي لحقوق الانسان، وهي مبادرات حسنة القصد والغاية، إلا أن غياب المرجعية الإيمانية لها–مع أسباب أخرى– أدّى إلى عدم فعّاليتها."[5]

وهكذا استطاع الشيخ مخلال هذا العنوان كما يقول الدكتور محمد المختار أن يرهن " أن الإنسان هو المسؤول والشاهد على الكون، وأن هذا التسارع قد يسبب له الحيرة وعدم الثبات على قرار، والحاجة إلى رؤية للكون تقدم له الاستقرار)، ثم بين أن الرؤية الوحيدة لذلك هي: (الرؤية الإيمانية)؛ باعتبارها الرؤية التي توضح للإنسان مراحله من بدايته إلى مصيره، (... ممتدة من النشأة (السبب) ومتصلة إلى المصير (الغاية)، مجملا ذلك في مقولة مشهورة عجيبة: (إنا لله وإنا إليه راجعون)، مبينا أن الإيمان هو: العروة الوثقى التي لا انفصام لها، التي تمنح

[5] عبد الله بن بيه الإيمانفي عالم متغير،ط منتدى أبوظبي للسلم،2024،ص5

للمستمسك بها رسوخاً واستقراراً..... _ثم خلص إلى نتيجة مفادها أن الإيمان_ يخضع الإنسان لجاذبية الحقيقة وليس الانجذاب وراء الوهم)، ثم بين أن ضعف الإيمان كان سببا في استخدام المخترعات في التدمير بدل التعمير والقتل بدل المحافظة على الحياة، وأن محاولات التدارك، والمبادرات الحسنة، ظلت عديمة الفعالية؛ لغياب المرجعية الإيمانية." [6]

المحور الثاني: معنى الإيمان

الإيمان في اللغة هو : التصديق نفسه قال تعالى : (وما أنت بمؤمن لنا) أي : بمصدق[7]، وقال ابن منظور: هو مصدر آمَنَ يُؤْمِنُ إيماناً فهو مُؤْمِنٌ واتَّفق أَهلُ العلم من اللُّغَويّين وغيرهم أَن الإيمانَ معناه التصديق قال الله تعالى:{ قالتِ الأَعرابُ آمَنّا قل لَمْ تُؤْمِنوا ولكن قولوا أَسْلمنا }(...)قال الله عز وجل :{إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يَرتابوا وجاهدوا بأَموالهم وأَنفسِهم في سبيل الله أُولئك هم الصادقون} أَي أُولئك الذين قالوا إنّا مؤمنون فهم الصادقون.[8]

وفي معجم مقاييس اللغة: (أمن) الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سُكون القلب، والآخر التصديق. والمعنيان كما قلنا متدانيان

وأمّا التّصديق فقول الله تعالى: {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا} [يوسف 17] أي مصدّقٍ لنا.[9]

و في كتب الاصطلاح العام : الإيمان "هو الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان قيل من شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق ومن شهد ولم يعمل واعتقد فهو فاسق ومن أخل بالشهادة فهو كافر

[6] محمد المختار محمد فاضل، قراءة في كلمة معالي الشيخ عبد الله بن بيه، معرض نواكشوط الدولي للكتاب، 2025،ص3

[7] الخليل بن أحمد الفراهدي، العين مكتبة الهلال ج8 ص398 أمن

[8] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر،ط3سنة1414ه، ج 13ص 23

[9] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ، ،دار افكر،ط سنة 1399ه 1979م ج1 ص 135،134 مادة أمن

."[10] وقال الكفوي :"والإيمان المعدى إلى الله معناه التصديق الذي هو نقيض الكفر، فيعدى بالباء لأن من دأبهم حمل النقيض على النقيض كقوله تعالى:(وما أنت بمؤمن لنا) أي مصدق" [11]

وذكر التهانوي الاختلاف بين الفرق الإسلامية في مفهوم الإيمان فقال:" واختلف فيه أهل القبلة على أربعة فرق الفرقة الأولى قالوا: الايمان فعل القلب فقط (...) والفرقة الثانية قالوا :الايمان عمل باللسان فقط (...) والفرقة الثالثة قالوا: الايمان عمل القلب واللسان معا (...)والفرقة الرابعة قالوا: إن الإيمان فعل بالقلب واللسان وسائر الجوارح. "[12]

وقد عرفه الإمام الأشعري بقوله: الإيمان هو التصديق بالله .[13]، وزاد الباقلاني: الإيمان هو التصديق بالله تعالى ،والتصديق يوجد بالقلب.[14] وعرفه الإمام البيجوري بقوله: الإيمان شرعا هو التصديق بجميع ماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم مما علم من الدين بضرورة ،إجمالا في الإجمالي وتفصيلا في التفصيلي.[15]

وخلاصة القول إن مصطلح "الإيمان" من أكثر المصطلحات التي أثارت جدلا بين الفرق الإسلامية "فذهب الخوارج إلى أن الإيمان هو الطاعة ومال إلى ذلك كثير من المعتزلة ، واختلفت مذاهبهم في تسمية النوافل إيمانا . وصار أصحاب الحديث إلى ان الإيمان معرفة بالجنان ،وإقرار باللسان وعمل بالأركان . وذهب بعض القدماء إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب والإقرار بها، وذهبت الكرامية[16] إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان فحسب ،ومضمر

[10]الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، ط سنة 19875، ص41

[11]أبوالبقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ،الكليات، مؤسسة الرسالة ،ط الثانية سنة 1419هـ 1998م، ص212

[12]التهانوي ، محمد علي التهانوى ، كشاف اصطلاحات الفنون، مكتبة لبنان ناشرون ،ط1سنة 1996م ج2ص 297

[13]أبي الحسن الأشعري ، اللمع في الرد على اهل الزيغ والبدع،دار الكتب العلمية،ط1421،1هـ 2000م ، ص 78

[14]الباقلاني،تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل،مؤسسة الكتب الثقافية، ط1سنة 1987م ص 389

[15]حايشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد ، ،دار السلام ،ط1سنة 1422هـ 200م ص 92

[16] هم أصحاب أبي عبد الله محمد ابن كرام ، كان ممن يثبت الصفات إلا أنه ينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه وهم طائفة بلغ عددهم إلى اثنتي عشرة فرقة ،وأصولها ستة ،العابدية والثنوية والزرينية ،والاسحاقية وأقربهم

الكفر إذا أظهر الإيمان مؤمن حقا عندهم ،غير أنه يستوجب الخلود في النار، ولو أضمر الإيمان ولم يتفق منه إظهاره فهو ليس بمؤمن وله الخلود في الجنة ."[17]

والذي ذهب إليه جمهور الأشاعرة من متكلمين ومحدثين ومتصوفة وفقهاء وغيرهم هو أن الإيمان حقيقة في التصديق ، وإن اختلفت عباراتهم إلا أن المفهوم واحد.

وهو مايتضح جليا من التعاريف التي ذكرتها لهم سابقا فكلهم اجموا على ان الإيمان هو التصديق .

ودليلهم على ذلك:" إجماع أهل اللغة التي نزل بها القرآن قال الله تعالى: {وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه }[18] وقال :{بلسان عربي مبين}[19]

فلما كان "الإيمان" في اللغة التي أنزل الله تعالى بها القرآن هو التصديق وقال الله تعالى :{وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين }[20] أي مصدق لنا.

وقالوا جميعا: (فلان يؤمن بعذاب القبر والشفاعة) يريدون يصدق بذلك ، فوجب أن يكون الإيمان هو ما عند أهل اللغة إيمانا وهو التصديق ."[21]

وقال سيدي زروق معرفا الإيمان:

"هو التصديق بالقلب بوجود الحق سبحانه وتعالى وصفة كماله وجلاله وصحة الرسالة وماجاء به الرسل من عنده مع الجزم بذلك كله ."[22]

الهيصمية ، وقد عدهم الشهرستاني في الصفاتية ، ينظر ، الشهرستاني ، الممل والنحل،دار المعرفة،ط3 سنة 1414هـ ج1ص124

[17]الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في اصول الاعتقاد ، مكتبة الخانجي 1950م ، ص396

[18]سورة ابراهيم ، آية 4

[19]سورة الشعراء ،آية 195

[20]يوسف ، آية 17

[21] وانظر تمهيد الأوائل ، ص 387 اللمع في الرد على اهل اليغ والبدع ، ص78

وذكر الإمام المحدث ابن جر العسقلاني الاتفاق على " التصديق" والاختلاف في ما فوق ذلك قال رحمه الله :" الإيمان لغة التصديق وشرعا تصديق الرسول في ماجاء به عن ربه وهذا القدر متفق عليه ثم وقع الاختلاف هل يشترط مع ذلك مزيد عمل من جهة إبداء التصديق."[23]

وعليه فإن الأشاعرة في ذلك يخالفون من قال بأن الإيمان قول وعمل "فالأعمال (عندهم) غير داخلة في الإيمان ، لأن حقيقة الإيمان التصديق ولأنه قد ورد في الكتاب والسنة عطف الأعمال على الإيمان كقوله تعالى :{ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات } مع القطع بأن العطف يقتضي مغايرة وعدم دخول المعطوف في المعطوف عليه."[24]

ولايعني ذلك أن الأشعرية لم يهتمون بالأعمال ولا يعتبرونها جزء من الإيمان فذلك فهم مغلوط تكذبه كتب الأشاعرة أنفسهم بل إنهم جعلوا العمل شرطا من شروط الإيمان التي لايكتمل إلا بها .

فالطاعات من صلاة وزكاة وصوم هي من :"شرائط الإيمان بدليل قوله تعالى في غير موضع :{إن الذين آمنوا وعمل الصالحات } فوصفهم بالإيمان ووصفهم بعمل الصالحات فدل ذلك على أن الأعمال الطالحة من شرائط الإيمان وأن الإيمان هو التصديق."[25]

بل إن القاضي الباقلاني ذهب إلى أبعد من ذلك فقال : "واعلم أنا لاننكر أن نطلق القول بأن الإيمان عقد بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان ."[26]

وقال :"واعلم أن محل التصديق القلب وهو أن يصدق القلب بأن الله إله واحد وأن الرسول حق وأن جميع ماجاء به الرسول حق وأن جميع ماجاء به الرسل حق ، وما يوجد من اللسان وهو

---

[22]شرح العلامة زروق على متن الرسالة للإمام أبي محمد عبد الله ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر سنة1402هـ 1982م ج1ص21

[23]ص 93 فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار طيبة ،ط الأولى سنة 1426هـ 2005م ،المجلد الأول ،

[24]شرح العقائد النسفية، ص80

[25]الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات والأصول والديانات ، أبي عمر الداني ، دار البصرة ، ط سنة 1426هـ 2005م ص 51

[26]الباقلاني، الإنصاف في مايجب اعقاده ولايجوز الجهل به ،المكتبة الأزهرية ط2سنة 2000م ،ص53

الإقرار ومايوجد من الجوارح وهو العمل فإنما ذلك عبارة عما في القلب ودليل عليه ويجوز أن يسمى إيمانا حقيقة على وجه ومجازا على وجه ، ومعنى ذلك أن العبد إذا صدق قلبه بما قلنا وأقر بلسانه وعملت جوارحه فهو المؤمن الحقيقي عند الله وعندنا ."[27]

وبالنسبة لزيادة الإيمان ونقصانه نجد الإمام الأشعري يقول بأن الإيمان يزيد وينقص "[28] نجد إمام الحرمين الجويني يقول: "إذا حملنا الإيمان على التصديق ،فلا يفضل تصديق تصديقا ،كما لايفضل علم علما ، ومن حمله على الطاعة سرا وعلنا وقد مال إليه القلانسي [29] فلايبعد ذلك إطلاق القول بأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وهذا مما لانؤثره ."[30]

وقد سلك القاضي الباقلاني طريقا وسطا بين القولين فبين الأوجه التي يزيد الإيمان فيها وينقص فقال رحمه الله: "لاننكر أن نطلق أن الإيمان يزيد وينقص كما جاء في الكتاب والسنة ولكن النقصان والزيادة في الإيمان يرجع إلى أحد أمرين ، إما أن يكون ذلك راجع إلى القول والعمل دون التصديق لأن ذلك يتصور فيهما مع بقاء الإيمان فأما التصديق فمتى انخرم منه أدنى شيئ بطل الإيمان(...)

والأمر الثاني في جواز اطلاق الزيادة والنقصان على الإيمان يتصور أيضا أن يكون من حيث الحكم لامن حيث الصورة فيكون ذلك أيضا في الجميع من التصديق والاقرار والعمل."[31]

وخلاصة القول هي أن الإيمان عند جمهور الأشاعرة: "هو التصديق بالجنان وأما القول باللسان والعمل بالأركان ففروعه فمن صدق بالقلب أي أقر بوحدانية الله تعالى واعترف بالرسل تصديقا

---

[27]نفسه ص 52

[28]ينظر الابانة عن اصول الديانة ،الاشعري ، مكتبة دار البيان ومكتبة المؤيد ، ط2سنة 1411هـ 1992م ص49

[29]هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن القلانسي ،توفي سنة 335هـ انظر: ابن عساكر، تبيين كذب المفتري ، مطبعة التوفيق بدمشق، ط سنة 1347هـ، ص389

[30]الارشاد ،الجويني ص 399

[31]الانصاف ، ص 54

لهم فيما جاؤوا به من عند الله تعالى بالقلب، صح إيمانه حتى لو مال عليه في الحال كان مؤمنا ناجيا ولايخرج من الإيمان إلا بإنكار شيئ من ذلك ."[32]

هذا الخلاف القديم بين العلماء والمتكلمين حول مفهوم الإيمان نجد أن الشيخ تجاوزه في هذا الكتاب مشيرا إلى ما أثاره مفهوم الإيمان "من الجدل واستثار من النظرِ وتطلَّب من التحرير الكثير، لا سيما في علاقته بمفهوم الإسلام، شمولا كما يفهم من عبارات بعض السلف، أو تمايزا كما استقر عليه القول لدى بعض المتأخرين"[33] مضيفا:"ذلك خلاف طويل لسنا بوارده"[34] وهكذا اكتفى المؤلف بالتنبيه على حديث جبريل الذي عرف فيه النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان وكأنه يقول لنا: أنه مادام هناك تعريف ثابت من الحبيب صلى الله عليه وسلم فقد رفعت الأقلام وجفت الصحف، ثم يرتقي بنا الشيخ إلى مجازٍ معرفيٍّ جميل حين يشبّه الإيمان بالشجرة: جذورها في أرض الإسلام، وثمارها في سماء الإحسان.

فيقول حفظه الله: "وحسبنا أن نقول إن الإيمان والإسلام إذا اجتمعا في سياق افترقا حقيقة و"ماصدَقا"، وإذا انفرد أحدهما غطى مساحة الآخر، ونشبه تلك العلاقة بالشجرة، فالإيمان شجرة تستثمر في أرض الإسلام، وتثمر في سماء الإحسان، أي أن الاعتقاد الصحيح إنما يَنبت في تربة الأعمال، ليرتقي صعُدا في أفق العرفان. والإيمان علم والإسلام عمل، والإحسان روح. والعلم مقدمةُ العمل، كما قال أبو عبدالله البخاري في صحيحه، بابٌ العلم قبل العمل: (فاعلم أنه لا إله إلا الله). [35]

فالإيمان إذن ليس معرفةً ساكنة، بل حركة بين العلم والعمل والوجدان، يثمرها تفاعل الحسّ والعقل والوحي في كيان الإنسان، وهنا يعود بنا الشيخ إلى الدرس الكلامي والمنطقي ، ليفكّك البنية المعرفية التي يقوم عليها الإيمان، فحدد ثلاثة مصادر للمعرفة الإيمانية: الحسّ، والعقل، والخبر (أي الوحي).

"فإذا كان الإيمان –كما يقول الشيخ: علماً، فذلك يعني من زاوية النظر الإسلامية التقليدية أنه انكشاف للمعلوم على ما هو عليه، وله ثلاث وسائل من مصادر المعرفة:

---

[32] الملل والنحل، الشهرستاني ، ج1ص114

[33] عبد الله بن بيه الإيمان في عالم متغير،ط منتدى أبوظبي للسلم،2024،ص7

[34] عبد الله بن بيه الإيمان في عالم متغير،ط منتدى أبوظبي للسلم،2024،ص7

[35] عبد الله بن بيه الإيمانفي عالم متغير،ط منتدى أبوظبي للسلم،2024،ص7

- المصدر الأول هو الحسُّ، وهو مجموع ما ركب في الإنسان من وسائل الإدراك للمحسوسات، التي تنشأ بها لدى الإنسان معارف ضرورية عن الموجودات، لكنّ هذا المصدر محجوب في هذه الدار عن الإدراك للباري سبحانه وتعالى، ولذلك فإنه لا ينتج على وجه الاستقلال والتفرّد أي معرفة معتبرة في باب الإيمان، وإنما قد يصلح مقدمة صغرى."[36]

وفي ذلك يقول الشيخ عبد الله بن بيه[37]:

والحس معزول عن إدراك العلي في هذه الدار لأمر معتلي

ومنه الابتــلاء أو ســواه والله أعلم بما سَــوّاه

- المصدر الثاني هو العقل، وينقسم العلم الحاصل بالعقل إلى علم ضروري وآخر نَظَرِي فأما الضروري فهو المغروس في النفس البشرية من البدهيات، فيعرفه كل عاقل ويدركه كلُّ مميز بَداهةً، مثل: أن الواحد نصف الاثنين، والجزء أقل من الكل، واستحالة الجمع بين النقيضين..الخ.

وأما النظري فهو ما احتاج إلى تأمّل وإعمال للعقل، وهو ما يسمى نَظَراً عند أهل علم الكلام والمنطق والأصول، والذي يرى الجويني أنه عبارة عن حركات الفكر في المنظور ليصل في النهاية إلى علم، من خلال الاستدلال أي طلب الدليل، والدليل هو عبارة عن مرشد إلى مدلول معيّن لدلالته عليه بنوع من الدلالات.

ومبنى النظر العقلي على إعمال الدلالة أي الانتقال من حاصل معلوم وقد يكون محسوساً إلى مطلوب مجهول، من خلال أحد أوجه الدلالة، ولا سيما عن طريق دلالة اللزوم العقلي، وهو لزوم ناشئ عن افتقار المسبب إلى السبب والمعلول إلى العلة ضرورة، فيصبح النظري اضطراراً عقلياً، عبّر عنه المتكلمون والفلاسفة بمختلف العبارات والمتصوفة بمختلف الإشارات.[38]

[36] نفسه ص7

[37] عبد الله بن بيه، نظم الارشاد لمستقيم نهج الاعتقاد، قيد الطبع

[38] ابن بيه، الإيمان في عالم متغير، ص8

وهذا حاصل قول الأخضري في السلم [39]:

والنظري ما احتاج للتأمــل وعكسه هو الضروري الجلي

هذا المصدر المركب من الحس والعقل، هو محلّ بحث الباحثين، واضطراب المضطربين، ومعترك المذاهب من خلال أدلّة عقليّة تجد مقدمتها الصّغرى في الحس والوجود، ومقدمتها الكبرى في العقول والألباب، فكان مبدأ السببية ومبدأ الغاية وما سماه ابن رشد دليل العناية شواهد تستحضر الآيات، التي هي نقوش القدرة في صفحة الخلق للذين يحسنون استنطاقها، وهي الأبجدية الأساسية لقراءة الكون.

المصدر الثالث: الخبر، وهو الدليل الأكبر والمرشد الأهدى سبيلا والأقوم قيلا، والمقصود في هذا السياق ليس كل خبر وإنما الخبر القائم على الوحي الذي هو علم لدني ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾، علم ليس بناشئ عن إعمال نظر ولا تركيب قضايا، يُؤْتاه الأنبياء المصطفون من خلق الله لتلقي الوحي، والوحي هو اتصال إلهي بالإنسان المصطفى –على سبيل الإلهام أو بواسطة ملك، لإطلاعه على جملة من الحقائق، وإبلاغه برسالة إلى البشرية هي مراد الخالق من الخلق..

هذه المصادر هي الآيات والنذر، التي تتكامل وتتعاضد للدلالة على الإيمان والتوصيل إلى سبيل الاطمئنان، والتي بها تقع الهداية الناقلة للإيمان من حيّز الإمكان والاستعداد الذي جبل عليه الإنسان، وركز في فطرته، إلى حيز التحقّق والوقوع الذي هو اصطفاء وتوفيق، فالنذر هي تذكير وإيقاظ للنفس للارتقاء من عالم الموجودات إلى البحث عن الموجد بالاعتبار بالآيات. "

وبعد هذا الاستطراد يعيد الشيخ ترتيب العلاقة بين هذه المصادر الثلاثة في بنية متناسقة، لا في تضادٍ كما اعتاد الفكر الغربي الحديث. فالحسّ والعقل والوحي ليست متقابلات، بل مستويات متكاملة للمعرفة.

الحسّ يقدّم المادة، العقل يصوغ الصورة، والوحي يمنح المعنى والغاية.

[39] الأخضري، نظم السلم، ينظر : الدمنهوري، إيضاح المبهم،ص57

المحور الثالث: وقفات توضيحية

في هذا العنوان تعرض الشيخ لأربع وقفات، وبين أنها لمعالجة بعض الإشكالات التي تثار حول هذه المصادر:

- الوقفة الأولى مع العلم بمعناه الحديث.

وفي هذه الوقفة تعرض الشيخ لمجال التصادم الذي يحصل بين العلم والدين، وبين أن مجال البحث بينهما مختلف؛ حيث يهتم الدين بالعلل الأولى، التي تعني: (من أين جئنا؟ وأين سينتهي بنا المطاف؟ وما الهدف من وجودنا؟)، بينما ينصب اهتمام العلم على العلل الثانوية، التي تعتمد على الملاحظة والتجربة التي توصل بالاستقراء إلى قوانين لا يمكن أن ترقى إلى القطعية، بل تظل معرضة للنقض بحسب ما يستجد من المعطيات، ولعل أشهر مثال على ذلك هو مثال قانون نيوتن لتفسير الجاذبية والذي ظلّ طيلة قرون هو الحقيقة العلمية، حتى اصطدم بشذوذ كوكب عطارد، فكان ذلك داعياً إلى البحث عن قانون جديد وهو ما توصل إليه آنشتاين من خلال وضع نظرية النسبية العامة.[40]

ففي الوقفت الأولى: يقول الشيخ "مضت حقبة كان بعض الناس يرفعون دعوى مصادمة العلم للدّين، ومردُّ ذلك إلى عدم توضيح العلاقة وتحديد المجالات بينهما... والحق أن العلم بمعناه الحديث منهج إنساني قائم على البحث في الكائنات، وقصاراه كما يقول العالم الفرنسي كلود برنار (Claude Bernard) البحث عن العلل الثانوية للأشياء، وليس له مرتقى إلى العلل الأولى ولذلك فإن الأسئلة التي يعنى بها الدين غير الأسئلة التي تجيب عليها العلوم"[41].

ومعلوم أن هذه المسألة تحديدا من المسائل الاشكالات الجوهرية التي يطرحها العصر ويثيرها الملحدون من حين لآخر وقد تصدى لها شيخنا حفظه الله أكثر من مرة ومن ذلك مقاله حول: حول تحميل العلم مسؤولية الإلحاد حيث بين أنه " لا مشكلة لدينا مع العلم، ولكن المشكلة في فهم مسألة العلم والتعامل معه. إن الكثير من الناس يطلبون من العلوم الطبيعية أن تجيب على أسئلة لا يمكن أن تجيب عليها، فإذا لم تستطع يقولون: نفى العلمُ، والعلم لم ينفِ شيئا، لأنه ليس

[40] محمد المختار محمد فاضل، ص13

[41] ابن بيه، الإيمان في عالم متغير،ص10

الطريق الصحيح للوصول إلى أجوبة لاهوتية، فعدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود وعدم العلم لا يدل على علم العدم"[42]

وهذا ماقرره في نظمه الارشاد في مستقيم نهج الاعتقاد بقوله[43]:

والعلم في مفهومه الجديـــــد بأدواتـــــه على التحديـــد
كالحس ليس مُدركاً بل مثله يكون في المقدمات شكلـــه
والعلم هو منهج إنســـــاني يبحث في الأكوان لا الديان
لذاك كان منصف منهم يقول في الثانوي بحثنا لا في الأصول

والشيخ هنا لا ينفي قيمة العلم وأهميته، لكنه يُحدّد له مجاله، ويرى أن العلم يبحث في الكائن لا في المكوِّن، وفي العلّة الثانية لا في الأولى.

وهذا التفريق هو جوهر ما بنى عليه المتكلمون المسلمون من أمثال الغزالي والجويني مفهوم «السببية »؛ فالعلل الطبيعية ليست سوى مظاهر للعلة الكبرى، وهي الخالقية الإلهية.

ثم يقول: «وليس من شأن العلم أن يثبت أو ينفي ما وراء مجاله، فعدم وجدانه للغيبيات لا ينفي وجودها، وعدم علمه بها لا يفيد علماً بعدمها.»

وهنا إشارة فلسفية دقيقة إلى مغالطة المصادرة على المطلوب في الإلحاد العلمي المعاصر؛ فغياب الدليل التجريبي ليس دليلاً على علم العدم.

وهكذا نفهم ثبات الإيمان يتطلب أن يكون دليه ثابتا وذلك بخلاف العلوم التجريبية التي تواصل تطورها وتغيرها أما البرهان الإيماني فلاد أن يكون كما يقول الغزالي برهان يقينيا " يفيد اليقين الضروري الدائم الأبدي الذي يستحيل تغييره كعلمك بان العالم حادث وأن له صانعا، وأمثال ذلك مما يستحيل ان يكون بخلافه على الأبد، إذ يستحيل أن يحضرنا زمان نحكم فيه على العالم بالقدم أوعلى الصانع بالنفي.

فأما الأشياء المتغيرة التي ليس فيها يقين دائم فهي جميع الجزئيات التي في العالم الأرضي وأقربها إلى الثبات الجبال، وإذا قلت: هذا الجبل ارتفاعه كذا، لم يكن الحاصل علما أبديا لأن

[42] عبد الله بن بيه، تحميل العلم مسؤولية الإلحاد، مجلس حكماء المسلمين، 2020

[43] عبد الله بن بيه، نظم الإرشاد لمستقيم نهج الاعتقاد، نسخة تحت الطبع، ص6

المقدمة الصغرى ليس اليقين فيها دائما، إذ ارتفاع الجبل يتصور تغيره، وكذا عمق البحار ومواضيع الجزائر، فهذه أمور لا تبقى فكيف علمك يكون زيد في الدار. وأمثال ذلك مما يتعلق بالأحوال الإنسانية العارضة لا كقولنا: الإنسان حيوان والحيوان جسم والإنسان لا يكون في مكانين في حالة واحدة، وأمثال ذلك فإن هذه يقينيات دائمية أبدية لا يتطرق إليها التغير حتى قال بعض المتكلمين: العلم من جنس الجهل، وأراد به هذا الجنس من العلم. فإنك إذا علمت بالتواتر مثلا أن زيدا في الدار، فلو فرض دوام هذا الإعتقاد في نفسك وخروج زيد لكان هذا الإعتقاد بعينه قد صار جهلا، وهذاالجنس لا يتصور في اليقينيات الدائمة."[44]

- الوقفة الثانية مع الخبر

انتقد الشيخ تحت هذا العنوان ما تعرض له الخبر من نقد كبير في العصر الحديث وتبخيس مبالغ فيه لحجيته، مع أنّ البشرية – كما يقول الشيخ: "لا يمكن أن تستغني عن الخبر بأية حال، فهو أكثر مصادر المعرفة اعتماداً في كل تفاصيل الحياة صغيرها وكبيرها."[45]

وفي هذا النص ينبه الشيخ إلى أهمية الخبر كأحد منابع وأدوات المعرفة الثلاثة التي ذكرها الأصوليون: الحسّ، والعقل، والخبر الصادق.

ودافع حفظه الله عن «الخبر المتواتر» كحاملٍ للحقيقة التاريخية والروحية بقوله «وفي نسقنا الإسلامي خاصة حيث أبدع المسلمون منهجية توثيق وتنقيح للأخبار لا يوجد مثلها في أي أمة أخرى.»[46]

وهي إشارة من شيخنا حفظه الله إلى عبقرية المنهج الحديثي الإسلامي بوصفه نموذجًا فريدًا من النقد المعرفي القائم على السند والمتن، مما يجعله نواة لعلم معرفةٍ أصيل في الفكر الإسلامي، سبق فلسفة المعرفة الغربية في تأسيس مفهوم "التحقق من المصدر".

[44] الغزالي، محك النظر،دار المعارف، 1961م،ص256

[45] عبد الله بن بيه، الإيمان في عالم متغير، ص11

[46] نفسه،ص11

- الوقفة الثالثة مع النبوة

وفي هذه الوقفة تعرض الشيخ للاشتقاق اللغوي لكلمة النبي، مبينا المعنين انطلاقا من قراءتين صحيحتين، واحدة تهمز؛ لتفيد معنى النبأ المقارب لمعنى الخبر، والثانية تعل؛ لتفيد معنى الارتفاع، ثم تعرض للمعنى الاصطلاحي للنبي، والرسول، ومبحث العموم والخصوص بين هذين المصطلحين الشرعيين، مبينا أن النبوة ظاهرة فريدة، تقع لأفراد هم المصطفون الأخيار، وهي برهان على قيُوميّة المولى سبحانه على خلقه؛ ومظهر من مظاهر رحمته بالإنسان ولازم من لوازم قدرته. فإمكانها لا يحيله العقل، ووقوعها يصدقه الواقع ..... ثم بين المكانة الخاصة للرؤيا الصادقة، مبينا خروجها عن دائرة الحس والعقل وتحييرها له، رغم تفسير العلم الحديث لها بأنها: ظاهرة نفسية ترد في حالة النوم.[47]

يقول الشيخ: «النبوة ظاهرة فريدة، تقع لأفراد هم المصطفون الأخيار، وهي برهان على قيُوميّة المولى سبحانه على خلقه؛ ومظهر من مظاهر رحمته بالإنسان ولازم من لوازم قدرته.»[48]

هذه الجملة تمثّل ذروة البيان الكلامي في النص، فهي تصوغ النبوة لا كاستثناء في النظام الكوني، بل كاستمرار لرحمة الله وعدله.

وسأكتفي هنا بتلخيص ماذكره الشيخ عن دلائل صدق النبوة حين قال: إن التصديق بنبوة الأنبياء أو برسالة الرسل يتأتى عن طرق كثيرة وقرائن تنقدح في النفوس لا يمكن دحضها، نذكر منها ما يلي:

أولا: سيرة النبي، فالأنبياء هم مثال على مرِّ الزمان في أقوامهم في حسن السلوك واستقامة الخُلُق والصِّدق والأمانة حتى قبل أن ينزل عليهم الوحي, فهم طائفة متميزة من حيث السِّمات والاستقامة والسلوك وعدم مخالفة الفعل والقول؛ والإيمان الراسخ بما بين أيديهم من الرسالة حتى يكاد طُهرهم ونقاؤهم الباطني ينتزعان الاعتراف بصدقهم، فقد كان سيدنا محمد ﷺ يُدعَى الأمين قبل الرسالة لِصِدقه وأمانته، ولهذا قال هرقل ملك الروم: (لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الكَذِبَ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ يَذْهَبَ فَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ) ، ونجزم أنه لا أحد منذ نشأة البشرية حفظ لنا التاريخ من أخباره وآثاره ومآثره ما حفظ لنا عن رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حتى كان كأنما يعيش في

[47] المختار بن محمد فاضل،ص13

[48] عبد الله بن بيه، الإيمان في عالم متغير، ص13

غرفة زجاجية يطلع الناس على دقيق تفاصيلها. فلم يترك الرُّواة حركة من حركاته أو سكنة من سكناته إلا نقلوها، وكأن الله سبحانه وتعالى لمَّا جعله آخر الأنبياء جعل سيرته تخلُد؛ وآثاره تبقى، فكان هذا النبي مرآة انعكست فيها صورة أخلاق الأنبياء، ومثالا جمع كل الخصال وأشتات المكارم وأنواع المعارف، وهو ما يتجلى في كتب السيرة بوضوح...

ثانيا: أن تصديق الرسول في رسالته قد يكون ناشئا عن أمور غيبية أخبر بها، سواء كانت أخبارا في الزمن الغابر مما لم يكن معروفا للنبي ولا لقومه، وقد يكون عن خبر مستقبلي، ثم يظهر صدق ذلك خبر بتحقّقه في الواقع، فيكون ذلك دليلا على صدق من أخبر به فيما سواه، كما في قصة هزيمة الروم على يد فارس، وإخبار الوحي بأن الروم سَيَغلِبون فارس قبل نهاية عقد من الزمن وأن ذلك وعد من الله، فكان الأمر على ما وُصِف، " ﴿الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾.[49]

، وهذا النوع كثير وهو أخص صفات النبوة، فهي وعود صريحة وواضحة ومؤكدة بل في بعض الأحيان محددة، وليست تكهنات مبنية على حساب ولا تخمين، ولا يمكن أن تصدر من تلقاء بشر، ولا تزال البشرية في كل عصر تكتشف مسائل أخبر عنها الوحي من عالم الغيب. وفي هذا العصر استوقفتني آيتان كلاهما تتعلق بالأرض، الأولى حول استهلاك المعادن وموارد الأرض بشكل غير مسبوق، والذي عبر عنه الحديث الصحيح، "تَقِيءُ الأَرْضُ أَفْلاذَ كَبِدِها"[50]، وهي عبارة مشحونة بالمعاني، أترون أن الأرض إذا ألقت ما فيها هل تبقى لها غاية، والثاني الأثر الوارد عن الإمام مالك "أنه بلغه أنه في آخر الزمان يشتد حرّ الأرض (وفي رواية حر الشمس) ، هذه فقط إشارات لليقظة الإيمانية ولا تعني التوقف عن البحث العلمي أو مكافحة حر الأرض والتغير المناخي .[51]

ثالثا: قد يكون التصديق ناشئاً عما يجري على يدي الرسول من خارقٍ مقرون بالتحدّي والدَّعْوى، وتُسمَّى هذه الخوارق في اصطلاح القرآن الكريم (الآيات)؛ لأنها علامات على صِدق الأنبياء، وأطلق عليها فيما بعد في اصطلاح أهل علم الكلام اسم (المُعجزات)، وقد ذكر القرآن الكريم

[49] سورة الروم، آية1

[50] صحيح مسلم، باب الترغيب في الصدقة قبل ألا يوجد من يقبلها،ح 1013

[51] بن بيه، الإيمان في عالم متغير، ص15

كثيراً من الخوارق والمعجزات التي وقعت للأنبياء كانقلاب العصا لسيدنا موسى عليه السلام وإحياء الموتى لسيدنا عيسى عليه السلام، وقد وقع للنبي صلى الله عليه وسلم الكثير من المعجزات، منها انشقاق القمر وحنين الجذع وتسبيح الحصى وكلام الحجر وانقياد الشجر..

رابعا: وقد يكون التصديق ناشئاً عن دعاءٍ من الرسول نفسه لهداية قوم "اللَّهمَّ اهدِ دَوْسًا وائتِ بهم"[52] أو عن أشياء ذوقية كإطلالة وجهه الكريم صلى الله عليه وسلم" ليس بوَجْهِ كَذَّابٍ "[53] أو عن معرفة أوصافه المذكورة في كتب الأولين كما وقع لسيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه.

إنها أدلة كثيرة حصل بمجموعها تواتر لا يمكن دفعه، وعلى الأخص لمن هُدي إلى اتباعه.

وهناك بالنسبة للنبي الخاتم معجزته الخالدة، ألا وهي القرآن الكريم.

خامسا: يوجد وجه آخر وهو مضمون الرسالة، فرسائل الأنبياء جاءت دعوة إلى الخير والبر وصون الكليات الخمس، فأهل العقول والحكمة يستحسنون ذلك ويميلون إليه، ومن ذلك سؤال النجاشي للصحابة حين قدموا الحبشة فقال "وما يأمركم به؟ وما ينهاكم عنه؟. قالوا: يقرأ علينا كتاب الله ويأمرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر ويأمرنا بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم، ويأمرنا بأن نعبد الله وحده لا شريك له". وكذلك حديث وفد قريش مع هرقل ملك الروم فقد سأل ماذا يأمركم؟ قال أبو سفيان قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة". وهذا مصداق آيات كثيرة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾، وقوله سبحانه: "﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، فالرسالة هي الدعوى وهي الحجة، وهي الدال والمدلول.

- الوقفة الرابعة والأخيرة مع الأدلة الموهومة

يقول الشيخ حفظه الله تحت هذا العنوان: "يرفع بعض المعاصرين قراءة آلية للعالم، يدّعي أصحابها عدم وجود معنى للكون، وأن ذرّات تجمّعت بلا هادٍ ومن تلقاء نفسِها، فشكّلت هذا الكون البديع في كل تفاصيله الدقيقة البديعة، ذرات تجمعت فصارت أحداقا ومُقلا تبصر، أو صارت آذانا تسمع، وهكذا من أصغر الموجودات من الذرات إلى أكبرها من أجرام السّماوات

[52] صحيح مسلم ، باب من فضل غفار وأسلم...،ح2524

[53] سنن الترمذي، ح2485

كالكواكب والمجرات، كل ذلك وفق مقادير غاية في الدقة لو اختل منها مقدار واحد لانخرم نظام الكون وابتلعه الفساد. بل هو تقدير عليم حكيم، يتجلى صنعه في التصميم الحكيم للكون"[54]

هنا يستنكر الشيخ المذهب المادي الذي ينكر الغاية والسببية الكبرى، ويردّ عليه بمنطق النظام والغائية ويبرز مفارقة المادية الحديثة التي تهرب من الغيب الإلهي لتقع في غيبٍ آخر هو "الصدفة" التي لا تُفسّر شيئًا.

المحور الرابع: تذكير ببعض ثمار الإيمان

والتي صدرها بالسّعادةُ الأخروية بتنعيم الأرواح في القبور والأجساد يومَ النشور بالنزول في دار الأفراح والسرور، حيث النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول.

ومن ثمار الإيمان أيضا، أنه به يرتقي الانسان في إنسانيته، اتّصافا وتحقُّقا، بالكمالات الإنسانية، من صحة الاعتقاد، وحسن معاشرة العباد، وتزكية النفس وتهذيب غرائزها، فبالإيمان يهتدي الإنسان إلى فعل الخير وينقاد إلى الخير باطناً وظاهراً.

كما أن من ثمار الإيمان الحياة الطيبة، قال تعالى "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً" والحياة الطيبة هي السّعادة والطمأنينة ويمكن أن نعبر عنها بالمصطلح المعاصر "جودة الحياة".

إن قيمة الإيمان تؤدّي الى الاطمئنان، فيكون الانسان مطمئناً إلى رؤية لهذا الكون العجيب والكوكب الفريد الذي يعيش عليه، رؤية تجيب عن سؤال من أين أتيتُ وإلى أين أصيرُ؟ وممّ خلقتُ ولم خلقتُ؟ تجيب على سؤال الأخلاق بربطها بالجزاء الأخروي فلا تستوي الحسنة والسيئة ولذلك فهو يقيم في النفس وازعاً وفي الضمير رادعاً، فكلّ أخلاق لم تستنبت في أرض الإيمان، ولم تسق بسحب الوحي الفياضة بالإحسان، تظلُّ معرّضة لزعازع الهوى، ضعيفة التّأثير، تتلاشى أمام الأزمات، وهذا ما تفتقر إليه النظريات الفلسفية الأخلاقية، كالتي في النظام الكانتي، حيث

[54] بن بيه الإيمان في عالم متغير، ص17

لا جزاء، فلا المجرم معاقب ولا المحسن مثاب إذا لم تنله يد القانون، فيستوي في هذا النظام البارُّ بوالدَيْه والعاقّ لهما، والمحسن على جاره والمسيء.[55]

وهذا البعد القيمي للإيمان نلاحظ أن الشيخ فضل أن يضعه تحت عنوان "آثار الإيمان" حتى لايلتبس بحقيقة وماهية الإيمان ومعلوم أن الشيخ لاينظر إلى القيم الإنسانية الفاضلة كحاجة إنسانية فقط أو قيم ظرفية أو استراتيجية ، وإنما ينظر إليها بالإضافة إلى ذلك كواجبات دينية لايكمل دين المسلم إلا بحرصه عليها ومن القيم التي يركز الشيخ على إبرازها دائما:

1- التعاون والتضامن: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلبِرِّ وَٱلتَّقوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلإِثمِ وَٱلعُدوَٰنِ﴾[56].

2- إصلاح ذات البين: ﴿وَأَصلِحُواْ ذَاتَ بَينِكُم﴾[57].

3- الأخوة الإنسانية والتعارف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلنَٰكُم شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكرَمَكُم عِندَ ٱللَّهِ أَتقَىٰكُمۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾[58]، هو أصل العلاقة وليس التغالب كما في الجدلية الهيغلية التي تقوم على المغالبة الدائمة بناء على ما سماه نظرية "السيد والعبد".

4- الحكمة: ﴿وَمَن يُؤتَ ٱلحِكمَةَ فَقَدٓ أُوتِيَ خَيرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلأَلبَٰبِ ٢٦٩﴾[59].

5- المصلحة: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجرَ ٱلمُصلِحِينَ ١٧٠ ﴾[60].

6- العدل: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأمُرُ بِٱلعَدلِ وَٱلإِحسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلقُربَىٰ وَيَنهَىٰ عَنِ ٱلفَحشَآءِ وَٱلمُنكَرِ وَٱلبَغيِۚ يَعِظُكُم لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾[61].

7- الرحمة: ﴿وَمَآ أَرسَلنَٰكَ إِلَّا رَحمَةٗ لِّلعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[62].

8- الصبر: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجرَهُم بِغَيرِ حِسَابٖ١٠ ﴾([63]).

---

[55] عبد الله بن بيه، الإيمان في عالم متغير، ص19

56- سورة المائدة، الآية: 2.

57- سورة الأنفال، الآية: 1.

58- سورة الحجرات، الآية: 13.

59- سورة البقرة، الآية: 269.

60- سورة الأعراف، الآية:170.

61- سورة النحل، الآية: 90.

62- سورة الأنبياء، الآية: 107.

63- سورة الزمر، الآية: 10.

9- قيمة التسامح الذي يعني اتساع الصدر والتماس العذر ومعرفة مراتب النهي والأمر. فاتساع الصدر يعني قبول ظاهرة الاختلاف، وفي وصايا المقري: تعلم الخلاف يتسع صدرك، فإذا عرف اختلاف العلماء وتباين مداركهم وتفاوت آرائهم اتسع صدره.

وإذا تعامل معه غير باحث عن الظهور والغلبة، ولكن عن الحقيقة غير مستعمل الوسائل اللفظية النابية متواضعا غير متعال ولا متعالم. ولعلنا هنا نذكر أنموذج الشافعي رضي الله عنه، قال يونس الصدفي: "ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوما في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة"[64]، وقال: ما ناظرت أحداً إلا قلت اللهم أجر الحق على قلبه ولسانه، فإن كان الحق معي اتبعني، وإذا كان الحق معه اتبعته[65].

ومعنى قبول العذر أن لا تحمل من يخالفك على أنه كاذب، بل تحمله على محمل مقبول، كما في حكاية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع ابن عمر رضي الله عنهما: "يغفر الله لأبي عبد الرحمن ولكنه لعله أخطأ أو نسي"[66]. "ما عبر الجسر أعلم من إسحاق، وإن كنا نختلف فما زال الناس يختلفون"[67]، كما قال أحمد بن حنبل رحمه الله، أما معرفة مراتب النهي والأمر فهي أن تعرف أن النهي مراتب في الشرع، منه الحرام والكراهة، وأن تعرف أن المنكر مراتب، والأمر مراتب بالمعنيين السابقين كما أسلفنا.

10- قيمة الحب: الحب قيمة، وهو محبة الخير للآخرين. وهو محبة الله تعالى الذي هو أصل النعم، ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم الذي جعله مظهر الرحمة والكرم، ومحبة الناس الذين

64- تاريخ ابن يونس، أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد الصدفي(347هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1421هـ.، وسير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، 16/10.

65- صفة الصفوة، لأبي الفرج بن الجوزي، 435/1، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، ط:1421هـ/2000م.

66- صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب: الميت يعذب ببكاء أهله عليه، الحديث: 27.

67- الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي الجرجاني، 221/1، تحقيق: أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وعبد الفتاح أبو سنة، دار الكتب العلمية، ط 1، 1418هـ/1998م.

هم مجال الابتلاء، وفي الحديث "أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[68]، وفي رواية : "أن يحب للناس ما يحب لنفسه"[69].

11- قيمة الحوار: وقد رسخ المسلمون هذه القيمة من خلال ما يعرف بآداب المناظرة. اذا لم ترسخ ثقافة الحوار فقد يصبح المجتمع أنانيا ينغلق فيه الأفراد والجماعات، ﴿كُلُّ حِزبِۭ بِمَا لَدَيهِم فَرِحُونَ ٣٢ ﴾[70]، ويصدق فيه الحديث النبوي: "اذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك واترك أمر العامة"[71].

12- قيمة الوسطية: وهي تمثل نوعاً من النسبية، التي هي سنة من سنن الكون والحياة، الوسطية في السلوك، الوسطية العلمية بين الظاهرية الحرفية والتأويلية المحرفة، إنها الاعتدال كما سماها الشاطبي[72].

المحور الخامس: جملة من التوصيات

وسأكتفي هنا بأبرز التوصيات التي تبرز الأبعاد التجديدة عند الشيخ في الدرس الكلامي :

أولا: البشرية محتاجة إلى تجديد الإيمان من خلال إعادة ربطها بغذاء الأرواح، والإكثار من الذكر الذي هو مفتاح تزكية النفوس؛ كما تفتقر إلى مرشدين ربانيين يحيون وظائف الذكر ويرقون في مدارج السلوك إلى مقامات الزهد والصبر والشكر، فتشرق السرائر وتستقيم الظواهر فتتطهر القلوب من الغلّ والرياء وتتنزّه الألسنة من الغيبة والفحشاء.

ثانيا: تجديد الخطاب الإيماني عن طريق تطوير أساليب البرهنة وطرق العرض واستغلال الإمكانات التي أتاحتها المعارف البشرية الجديدة، وهي في الحقيقة إنما أتاحت ما أشار له القرآن

68- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، الحديث: 13، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مِنْ خِصَالِ الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ، الحديث: 72.

69- مسند الإمام أحمد، الحديث: 13874.

70- سورة الروم، الآية: 32.

71- رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب: بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾، المائدة، الآية:105،وأبو داوود، كتاب الفتن، باب: قَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾، الحديث: 4014، والترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ المَائِدَةِ، الحديث: 3058.

72- الموافقات، 286/2. تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، 1417هـ/1997م.

الكريم بقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾. فالآيات في الآفاق هي آيات لا تنقطع، علينا أن نسبر أغوارها كدلائل على العقائد، وهي مجال للتجديد والتجدّد، فستظلّ الآفاق صفحة تسطر فيها الآيات، لنتبين أن هذا الدين وهذا القران ونبوة النبي صلى الله عليه وسلم هي الحق.

ومن أوجه التجديد الممكنة في الفقه الأكبر، كما أسماه الإمام أبو حنيفة، استثمار ثمرات العقول والعلم الحديث في صياغة العقائد وعرضها عرضا سليما بطرائق الاستدلال المناسبة لإدراك أهل العصر، وألا نجد في أنفسنا حرجا من الاستعانة بالفلسفة، فإن المدارس الفلسفية منها المدارس الصديقة التي يجب أن نستفيد من تجربتها وحاصل تحريراتها، ومنها المدارس التي يمكن أن نسميها خصما ولكن ليس بالضرورة عدوا، وهذه ينبغي محاورتها، فنستفيد من الصديقة ونحاور الأخرى المخالفة أو المنافسة.

فعلينا الانفتاح على شهادة المتخصصين في الفلسفة والعلوم الطبيعية ما لم تعارض نقلا أو تناقض عقلا. فنتعاون مع العلوم التجريبية في رحلة اكتشاف الكون البديع، ونقبل شهادتها في الاثبات ولا نقبل شهادتها في النفي. وذلك ليس فقط من منطلق إيماني فحسب، ولكن من منطلق علمي أيضا لأن العلم إذا شهد بالنفي فقد أعلن التوقف عن البحث العلمي.

ثالثا: إنشاء مراكز للبحوث الإيمانية –والتي في الدائرة الإسلامية يمكن أن تستقطب كل التخصصات من محدثين يقدمون أحاديث الإيمان وما لها من تأويل ومعنى، وكلاميين يبرزون ما وصلوا إليه من حجاج ونظر، ومن المشتغلين بتزكية النفوس وأحوال القلوب ومقامات الإحسان، ليقدّم كلٌ أحسن ما عنده في إطار التعاون على الخير– فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ.

الخاتمة

بعد هذه القرآت التحليلية المقارنة للأبعاد التجديدية في الدرس الكلامي المعاصر من خلال كتاب "الإيمان في عالم متغير" للشيخ عبد الله بن بيه يمكن أن نخلص إلى أن كتاب الإيمان في عالم متغير هو نموذج مهم في تجديد الدرس الكلاي حيث استطاع المؤلف من خلاله أن يحرر مفهوم الإيمان من ضيق التعريفات الكلامية فالإيمان عند الشيخ علمٌ يثمر عملاً، والعمل يُغذي العلم حتى يرتقي إلى الإحسان.

وقد شكلت ثنائية التغير والإيمان أساس وجوهر المحاضرة وهي ثنائية فلسفية .كلامية بامتياز، إذ تجمع بين معطى كوني متغير (العالم) ومعطى ميتافيزيقي ثابت (الإيمان).

وقد استطاع الشيخ أن يقيم جدلاً معرفياً بين التغير والثبوت، أساسه: كيف يحافظ الإيمان على وظيفته وغايته في عصر السرعة والتقلب والشك؟

و الكتاب في أسلوبه ينتمي إلى مدرسة العقل البرهاني و علماء الأمة الكبار من أمثال حجة الإسلام الغزالي من الذين يستخدمون العقل في خدمة الإيمان لا في منافسته.

وهذا واضح في اعتماده ثلاثة مستويات من الأدلة:

1- الاستدلال الكوني (من العالم إلى الخالق)

حيث بدأ من مبدأ التغير، كما فعل المتكلمون الأوائل (العالم متغير، وكل متغير حادث، والعالم حادث) لكنه يعيد توجيه الاستدلال على طريقة إبراهيم عليه السلام: من المشاهدة إلى الهداية، من الظاهرة إلى الحقيقة، ليؤسس "الإيمان اليقيني" لا مجرد التصديق الجدلي.

وهذا التحول من "البرهان المنطقي" إلى "البرهان الوجودي" يمثل تطوراً في الفكر الكلامي من منهج الإمام الجويني إلى منطق الغزالي ومن جاء بعده من علماء المدرسة البرهانية:

الإيمان ليس مجرد لزوم منطقي، بل تجربة ذوقية وعقلية معاً.

2- الاستدلال المعرفي الثلاثي (الحس – العقل – الخبر)

حيث بين الشيخ أن مصادر الإيمان ثلاثية: الحس وهو: مدخل أولي للمعرفة، والعقل وهو: أداة للنظر والاستدلال، والوحي وهو: مرجع مهيمن وموجّه.

وبهذا الترتيب، أكد المؤلف التوازن بين العقل والنقل وأن الإيمان الحق لا يقوم على النقل المجرد ولا على العقل المنفلت، وهي نظرة تعيد الاعتبار إلى التوفيق بين المدارس الثلاثة في التراث الإسلامي: المتكلمون (النظر)، الصوفية (الذوق)، والمحدثون (النقل).

3- الاستدلال التاريخي (النبوة كواقعة إنسانية)

حيث عرض الشيخ ظاهرة النبوة كضرورة عقلية وإنسانية، وبرهن عليها من خلال القرائن العقلية والتاريخية: السيرة، صدق الأخبار، الخوارق، مضمون الرسالة، والآثار الأخلاقية.

وخلاصة القول أنه لو طُلب مني أن أضع نصا استهلاليا لكتاب الإيمان في عالم متغير كما جرت العادة في بعض المؤلفات المعاصرة لاخترت دون تردد الحديث الذي رواه بن عبد الله عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إنَّ الإيمانَ لَيَخْلَقُ في جَوْفِ أحدِكُمْ كما يَخلَقُ الثّوبُ ، فاسْألُوا اللهَ تعالَى : أنْ يُجَدِّدَ الإيمانَ في قُلوبِكمْ)

فهذا الكتاب الذي بين أيدينا هو النموذج الأفضل لتجديد علم الكلام وليس علم الكلام الجديد الذي ينادي به بعض المثقفين من أصحاب البضاعة المزجاة في التراث الإسلام وفي علم الكلام بصفة خاصة ولذلك نجدهم بدلا من المساهمة في تجديد علم الكلام يدعون إلى علم جديد ليس فيه من الكلام إلا اسمه.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن حجر العسقلاني،فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار طيبة ،ط الأولى سنة 1426هـ 2005م .
- ابن عساكر، تبيين كذب المفتري ، مطبعة التوفيق بدمشق، ط سنة 1347هـ.
- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ، ،دار افكر،ط سنة 1399هـ 1979م.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر،ط3سنة1414.
- أبو الحسن الأشعري ، اللمع في الرد على اهل الزيغ والبدع،دار الكتب العلمية،ط1421،1هـ 2000م .
- أبوالبقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ،الكليات، مؤسسة الرسالة ،ط الثانية سنة 1419هـ 1998م.
- أبي عمر الداني ،الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات والأصول والديانات ، دار البصرة ، ط سنة 1426هـ 2005م .
- الأشعري الإبانة عن أصول الديانة ، مكتبة دار البيان ومكتبة المؤيد ، ط2سنة 1411هـ 1992م .
- الباقلاني، الإنصاف في مايجب اعقاده ولايجوز الجهل به ،المكتبة الأزهرية ط2سنة 2000م .
- الباقلاني،تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل،مؤسسة الكتب الثقافية، ط1سنة 1987م .
- البيجوري،حايشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد ، ،دار السلام ،ط1سنة 1422هـ 200م .
- التهانوي ، محمد علي التهانوى ، كشاف اصطلاحات الفنون، مكتبة لبنان ناشرون ،ط1سنة 1996م.
- الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، ط سنة 19875.
- الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في اصول الاعتقاد ، مكتبة الخانجي 1950م .
- الخليل بن أحمد الفراهدي، العين مكتبة الهلال، بدون

- الدمنهوري، إيضاح المبهم من معاني السلم،شرح على متن السلم المنورق للأخضري،ط3 سنة 2013م.
- زروق، شرح العلامة زروق على متن الرسالة للإمام أبي محمد عبد الله ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر سنة1402هـ 1982م .
- الشهرستاني ، الممل والنحل،دار المعرفة،ط3 سنة 1414هـ .
- عبد الله بن بيه الإيمان في عالم متغير ،ط منتدى أبوظبي للسلم،2024.
- محمد المختار محمد فاضل، قراءة في كلمة معالي الشيخ عبد الله بن بيه، معرض نواكشوط الدولي للكتاب، 2025.

